الباب الأول

القرآن سندا ونقلا

الفصل الأول : القرآن كلام الله .

الفصل الثانى : نزول القرآن على رسول الله .

الفصل الثالث : المسلمون والقرآن .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

القرآن كلام الله وليس كلام محمد

إن من أولى مراحل إثبات السند الصادق والأمين فى تلقى القرآن وكتابته وانتقاله من جيل إلى جيل ، هو إثبات مصدر هذا القرآن ، وإثبات أنه وحي الله ، وأن محمدا ﷺ قد تلقاه من المولى عز وجل وحيا إلهيا ، وليس للصنعة البشرية فيه من دخل أو أثر ، وقد تضافرت الأدلة على إثبات هذا الأمر بحيث لم يعد هناك مجال لمتشكك أو متردد ، إلا من كان يعرف الحق ولكن يكابر ويعاند من أجل العناد وإثارة البلبلة فى نفوس الناس ليخدم بذلك هدفا خسيسا فى نفسه .

لقد كان العرب أهل فصاحة وبلاغة ، يجيدون صنعة الكلام ويحسنون حبكة الأساليب ، وصلوا فى هذا القمة والذروة ، شعرا ونثرا ، خطابة وحكمة ، فقد كان الرجل منهم يقف أمام الجمع يلقى القصيدة ذات المئات من الأبيات دون إعداد أو بحث عن الأوزان والقوافى ، يقولها تلقائيا غير مكتوبة على ورق أو مطبوعة فى كتاب لأن سليقته تعودت هذا ، وملكته أصبحت قادرة على ذلك ، وقل مثل هذا أيضا فى النثر ، فقد بلغوا فيه هذا الشأو من البلاغة وحسن التعبير وتنميق الألفاظ .

ومع هذا ، فحين جاءهم محمد ﷺ بالقرآن الكريم شهدوا له بأعلى درجات البلاغة والفصاحة ، لفظا ومعنى ، ترابطا وتسلسلا ، فائدة وقصدا. هذا هو أحد كفار قريش وأشدهم عنادا لرسول الله ، وعصيانا للمولى عز وجل يسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] .

فيقول شاهدا بعظمة القرآن : « والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر » ولما سمع أعرابى أحد المسلمين يقرأ قول الله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر : ٩٤] سجد وقال: سجدت لفصاحته .

نعم لقد بلغ القرآن درجة عالية من الفصاحة والبلاغة لا تصل إليها همم أبلغ الرجال وأفصحهم ، فإن كان العرب قد ظهرت فصاحتهم فى وصف الديار والتلال ، أو وصف ناقة أو حبيبة ، أو معركة حربية أو غارة انتقامية ، فإن هذا

شيء يمكن أن يصل إليه من كان سليم الذهن وتحصلت لديه ملكة البيان ، لكن القرآن الكريم تخطى هذه الصور التى يمكن للغير تحصيلها بكثرة المراس ، فجاء بالصور التى لم يستطع كل العرب ، بل كل الإنس والجن أن يأتوا بمثلها أو بمثل ما يقاربها .

لقد تخطى القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته كل العهود والحدود التى عهدتها العرب من فصاحة الشعر وبلاغته ، فإن كان الشاعر يصدق فى شعره أحيانا وفى أغلب الأحيان يكون شعره متسما بالكذب والخيال الخادع فإن القرآن كله صدق وحق ، مبرأ من هذا الخيال المخادع وأساليب الكذب المفتراه .

وما رأينا كاتبا ولا شاعرا يسير فى كتابته أو شعره على وتيرة واحدة من البلاغة والفصاحة وحسن التعبير وعظيم البيان كما هو القرآن الكريم . إن الشاعر قد يكون فى قمة البلاغة فى بيت أو بيتين أو ثلاثة لكنه لا يستطيع أن يكون على مثل هذه الدرجة فى كل القصيدة ، أما القرآن الكريم فمع كثرته وطوله تراه فى أصغر سورة وأصغر آية هو هو فى قمة البلاغة والفصاحة كما هو فى أكبر سورة وأطول آية ، ميزان حكيم لا يخبو ولا يكبو ولا ينطفئ لأنه من عليم خبير .

وما أعجب هذه البلاغة وتلك الفصاحة التى نراها فى قصص القرآن ، فإنك ترى القصة وقد تكررت مرات عديدة ، ومع هذا لا تشعر بفارق فى علو اللغة ، ولا تحس بتفاوت فى درجات البلاغة ، فإن جاءت القصة على طريق الإطناب فهى فى أعلى درجات البلاغة ، وإن ذكرت بطريقة الإيجاز فهى أيضا فى قمة الفصاحة .

ومع تعدد الأغراض فى القرآن الكريم وكثرة القضايا التى يعرضها هذا الوحى السماوى ، ظل القرآن محافظا على فصاحته وبلاغته ، وكمال ترابطه . وحسن تعبيره ، وبديع مطابقته ، وعظيم مقابلته ، ففى القرآن قضايا العقيدة والشريعة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والموت والحياة ، والثواب والعقاب ، والترغيب والترهيب ، كلها أمور متقابلة ، وقضايا مختلفة ، ومع هذا عالجها القرآن الكريم أتم معالجة وكان فى كل هذا فى أعلى درجات البلاغة والفصاحة وحسن الترابط ، فهل يستطيع محمد ﷺ أن يأتى بكل هذه الألوان والصور مع محافظته على التوازن البلاغى ، وترابط المعانى ، وتسلسل الأفكار كما فى القرآن الكريم ؟

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (١)

وليس يعقل قول من يدعى أن محمدا ﷺ استعان بالغير حتى استطاع إخراج هذا القرآن الكريم ، أو أنه نسجه من قصص وحكايات كان يسمعها من هنا وهناك ، أو قرأها فى كتب الأولين ، فلقد ادعى الناس قديما وحديثا أن محمدا تعلم القرآن عن هذا الإنسان أو ذاك الإنسان ، فرد عليهم القرآن الكريم ردا علميا ومنطقيا ، مؤيدا بالحجة والبرهان ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢)

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣) ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٤) .

لقد أخطأوا الطريق وجاءت التهمة فى غير موضعها ، فمحمد لم يكن قارئا ولا كاتبا ، ولم يعش فى بيئة عمتها الحضارة ورفرفت فوق ربوعها الثقافة حتى يظن أنها علمته وأعطته هذا الكتاب العظيم الذى امتلأ بالثقافات المتعددة والحضارات المختلفة التى أخبره الله بها وعلمه إياها .

ولو كانت الاستعانة – على أى صورة كانت – تفيد فى إخراج كتاب مثل القرآن لكانت العرب أسرع الناس إلى تحصيل هذا لأنهم كانوا فى معركة فكرية ولغوية مع محمد ﷺ يتمنون النصر فيها بأى وسيلة كانت ، المهم أن ينتصروا على محمد ، فلو كانت تعلم أن محمدا هو صانع هذا ؛ القرآن بمعونة من الغير لكانت هى الأخرى قد استعانت بهذا أو ذاك – وبخاصة أن اليهود كانوا يشجعونهم فى هذا الطريق – ولكانت قد بذلت النفس والنفيس لتحصيل هذه الاستعانة كى يأتوا

---

(١) النساء : ٨٢.

(٢) الفرقان : ٤-٦ .

(٣) النحل : ١٠٣.

(٤) العنكبوت : ٤٨.

بكتاب يبطلون به هذا القرآن الذى تحداهم به محمد بن عبد الله – عليه الصلاة والسلام – وكيف لا والقرآن نفسه قد تحداهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا ، فليأتوا بعشر سور من مثله ، أيضا لم يستطيعوا ، فليأتوا بمثل أقصر سورة ، كذلك لم يستطيعوا ، فأين بلاغتهم ، وأين فصاحتهم ؟ أين سؤددهم ؟ وأين عزتهم ؟ قال سبحانه متحديا العرب أن يأتوا بشيء من القرآن :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢) . ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣).

ولكى تتضح للقارئ هذه البلاغة والفصاحة التى ننسبها للقرآن الكريم فهذا مثال واحد من أمثلة كثيرة يدل دلالة واضحة على علو بلاغة القرآن وفصاحته ، ذاك هو قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (٤).

إنها آية واحدة ولكنها امتلأت فصاحة وبلاغة ، فقد جمعت أمورا متعددة ومتقابلة ، ومع هذا لا تشعر فيها بأى تضارب أو تناقض ، وكيف يكون هذا والقرآن وحى الله وكتابه الحكيم ؟ لقد جمعت هذه الآية بين أمرين (أرضعيه ،

---

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) هود : ١٣ ، ١٤ .

(٣) البقرة : ٢٣ ، ٢٤.

(٤) القصص : ٧ .

ألقيه) ونهيين (لا تخافى ، لا تحزنى) وخبرين (إنا رادوه ، وجاعلوه) وبشارتين (إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين) .

إنه مثال واحد من أمثلة لا أستطيع حصرها ؛ لأن القرآن كله بلاغة ، وكله فصاحة ، بلاغة لا نظير لها ، وفصاحة لا تجارى ، وسيظل فياضا بالخير إن شاء الله تعالى .

ولعل قائلا يقول: إن القرآن ببلاغته هذه إنما هو معجز لأهل اللغة العربية فقط أما نحن الذين لا نعرف العربية ولا نتحدث بها ، فهذا الكتاب ليس بمعجز لنا ولا يصح أن يكون حجة علينا .

ولكن مثل هذا القول ليس من الصحة بمكان ؛ لأنه إذا ثبت إعجاز القرآن لجماعة من الجماعات وتواتر هذا الإعجاز أصبحت بقية الجماعات ملتزمة به ؛ لأنه إذا كان أهل البيان وأئمة اللغة قد وقفوا أمامه عاجزين فمن باب أولى غيرهم فيكون حجة عليهم .

وكيف لا وقد كان إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى تحديا لبنى إسرائيل وحدهم ومع هذا آمن بعيسى عليه السلام وصدق بمعجزته من ليس من بنى إسرائيل ؟ بل أكثر من هذا ، فقد خرج من تلاميذ عيسى وأتباعه من دعى بدعوته خارج بنى إسرائيل وأرسلوا الرسل والرسائل إلى أهل تسالونيكى وكورنش وروما وفسس وفيلبى وكولسى .. إلخ ، مع أن معجزات عيسى كانت قد انتهت ، وهى فى أصل مجيئها لم تكن تحديا لأهل روما ولا إفسس ولا تسالونيكى ، وإنما كانت لبنى إسرائيل فقط .

ونقول للذين يرون أن القرآن غير معجز لهم : « بماذا عرفتم نبوة موسى ؟ فإن قالوا بما عمله من معجزات ، قلنا لهم : وهل فيكم من رأى هذه المعجزات ؟ وليس هذا لعمرى طريقا إلى تصديق نبوة لأن هذا كان يلزمكم منه أن تكون معجزات الأنبياء باقية من بعدهم ليراها كل جيل بعد جيل فيؤمنوا به وليس ذلك بواجب ؛ لأنه إذا اشتهر النبى فى عصر وصحت نبوته فى ذلك العصر بالمعجزات التى ظهرت منه لأهل عصره ، ووصل خبره لأهل عصر آخر وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبوله عقلا ، وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فى هذا الأمر متساوون ... وأما معجزة القرآن فإنها

باقية ، وإذا كانت باقية فتلك فضيلة زائدة لا تحتاج إلى كونها سبب الإيمان[١] » . إذ يكفى فقط اشتهار نبوة محمد ﷺ وظهور المعجزات على يديه حتى تؤمنوا به ويكون كتابه حجة عليكم ، فما بالكم والقرآن معجزة أمامكم ؟ ألا يكون هذا حجة عليكم ؟

على أن القرآن ليس معجزا ببلاغته فقط وإنما هو معجز بذلك وبما ورد فيه من أخبار الأمم الماضية والرسل السابقين التى لا يمكن لبشر – مهما أوتى من العلم والمعرفة – أن يعرفها بدقائقها وتفاصيلها كما وردت فى القرآن الكريم ، لكن محمدا قد عرفها ، فكيف عرفها ؟ ومن الذى عرفه إياها ؟ إنها معرفة جاءت من الله العلى القدير . هى هذا الوحى العظيم والقرآن الكريم .

لقد عرف محمد أخبار آدم: أصله وخلقه ، وسجود الملائكة له ، ما كان بينه وبين إبليس اللعين ، ونزوله إلى الأرض ، وكيف خلقت زوجته حواء ..

وعرف محمد أخبار لوط ، وكفر قومه ، وإتيانهم الرجال شهوة من دون النساء ، وكيف عاقبهم الله العقاب الشديد .

وعرف محمد خبر نبى الله يونس بن متى وقصته مع أهل السفينة حين ألقوه فى أليم فالتقمه الحوت ولكن الله نجاه وأخرجه من بطن الحوت .

لقد عرف محمد أخبار الفرس والروم والأحداث التى كانت بين هاتين القوتين ، عرف محمد هذا كله ، وهذه شواهد ودلائل على أن القرآن ليس من صنع محمد ولا من صنع أحد من البشر وإنما هو وحى من على قدير ، عليم خبير ، إذ كيف عرف محمد بهذه الدقائق والتفاصيل وهو لم تكن عنده دراية بقراءة أو كتابة ؟ وكيف عرف هذا كله وقد وصم التوراة والإنجيل بالتحريف ، ووصم أهليهما بكتمان الحق حيث جاء فى القرآن قوله تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[٢].

---

(١) السموأل بن يحيى ، بذل المجهود فى إفحام اليهود ... نقلا عن : ابن القيم (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ط ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م) جـ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) النساء : ٤٦ .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ (١).

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (٢).

وكيف عرف محمد هذا كله والبعد الزمني بينه وبين هؤلاء الرسل يمنع من وصول هذه الأخبار إليه عن طريق هذا أو ذاك إذ كان الكفار يحاربونه ، وأهل الكتاب يعادونه ، والكل يحجب عنه الحقيقة ؟ وذكر التوراة لشيء من هذه الأخبار الماضية ليس مؤهلا لأن نراها بهذا التفصيل وهذه الدقة وهذا التصوير البديع كما هى فى القرآن الكريم.

والتوراة ليست مصدرا يوثق به حتى يستقى محمد منها أخبار الرسل السابقين فقد وصمتهم بالعار والفجور والقتل وعبادة الأوثان، فى حين أن القرآن الكريم وصفهم بالإيمان الصادق ، وحب الله وحده ، وإخلاصهم فى دعوة الناس إلى ربهم وخالقهم.

لقد كان محمد « أميا ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسة العلماء ولا مجالسة مع الفضلاء بل تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب ، وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضا ، ولم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم ، والمواضع التى خالف القرآن فيها - فى بيان القصص والحالات المذكورة- كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام ، فهذه المخالفة قصدية إما لعدم كون بعض هذه الكتب أصلية كالتوراة والإنجيل المشهورين ، وإما لعدم كونها إلهامية ، ويدل على ما ذكرت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣).

والأعجب من هذا أن القرآن الكريم يعطى محمدا علما بأخبار من المستقبل ، ويعلم الناس بها ، ثم تتحقق كما أخبر بها- عليه الصلاة والسلام- فكيف عرف

---

(١) المائدة : ٤١ .

(٢) آل عمران : ٧١ .

(٣) رحمة الله الهندى: إظهار الحق ، (تحقيق عمر الدسوقى) جـ ٢ ، ص ٩٤ / ٩٥ .

محمد هذا الغيب ؟ وهل عند البشر قدرة على معرفة الغيب ؟ اللهم لا ، إلا إذا كان هذا وحيا كما حدث مع محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فلقد أخبره الله بكثير مما يكون فى المستقبل القريب والمستقبل البعيد ، وتحقق هذا المستقبل ، وشاهد هذا وشهد به من كان حيا من الناس فى ذلك الوقت ، فمن هذا : ما أخبر به محمد أصحابه بأنه قد رأى فى منامه أن يدخل مكة هو ومن معه من المؤمنين ، فلما رجعوا دون دخول مكة لصد الكفار إياهم شق ذلك على المؤمنين فنزل قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ (١).

وانتظر الناس مسلمهم وكافرهم ، وتحقق قول القرآن ودخل المسلمون المسجد الحرام فى العام التالى آمنين غير خائفين ، جاء فى تفسير الجلالين قوله :

« رأى رسول الله ﷺ فى النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت ... وتحققت الرؤيا فى العام القابل » (٢) .

وهذا مقال ثان لمعرفة محمد- عليه الصلاة والسلام- بالغيب المستقبل عن طريق الوحى الإلهى الذى هو القرآن الكريم والذى جاء فيه قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣).

كان الكفار يتعالون على المسلمين بكثرتهم وكونهم جمعا كثيرا ، فلما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ وتحقق وعد الله الذى أخبر به نبيه محمدا ، وانتصر المسلمون على الكفار فى غزوة بدر ، عن عكرمة قال لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عمر: أى جمع

---

(١) الفتح : ٢٧ .

(٢) تفسير الجلالين (جلال الدين المحلى ، جلال الدين السيوطى) (دار المعرفة ، بيروت ، لبنان) ٦٨٣ .

(٣) القمر : ٤٤ ، ٤٥.

يهزم ؟ أى أى جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ فعرفت تأويلها حينئذ [١] .

وفى هذا المقام يأتينا قوله تعالى :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى الۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ الۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ الۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ اللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ الۡعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ اللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ اللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ النَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٢].

جاء فى ابن كثير تفسيرا لهذه الآيات قوله : عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى الۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ۝٤ ﴾ .

قالوا يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين ، قال صدق ، قالوا هل لك أن نقامرك [٣] فبايعوه على أربع قلائص [٤] إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : وما بضع سنين عندكم ؟ قالوا دون العشر ، قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل ، قال فما مضت الستتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك [٥] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (دار المعرفة ، لبنان) جـ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٢) الروم : ١-٦ .

(٣) فى الحديث الذى رواه الترمذى عن نيار بن مكرم الأسلمى أن هذا كان قبل تحريم الرهان .

(٤) القلائص جمع قلوص ، والقلوص من النوق الشابة وهى بمنزلة الجارية من الناس (مختار الصحاح).

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، جـ٣ ، ص ٤٢٣ .

وهكذا تحقق ما أخبر به القرآن الكريم ، فهل هناك إعجاز مثل هذا فى كتاب سماوى آخر ؟

ولأهل المادة وعشاق العلوم التجريبية نقول: إن القرآن الكريم قد جاءهم بكثير من المعجزات العلمية على يد محمد بن عبد الله- عليه الصلاة والسلام- الذى لم يدخل المعامل والمختبرات ، بل لم يكن يعرف القراءة والكتابة ، ولم تظهر هذه العلوم التجريبية إلا بعد الوحى وعهد النبوة بقرون كثيرة ، ومع هذا نرى فى القرآن الكريم كثيرا من الآيات التى تدلنا على حقيقة علمية هى فى عصرنا الحاضر من اختصاص علم الأحياء أو الجيولوجيا أو علم الفلك .. إلخ، ولا أدعى أن القرآن كتاب فلك أو كيمياء أو طبيعة ولكن أقول أنه يرشدنا إلى مجمل الحقيقة العلمية وعلينا أن نبحث فيها ونحلل عناصرها حتى نصل إلى حقيقتها ، ومن هذا النوع قوله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١] ترى ماذا يقول القرآن فى هذه الآية ؟

يقول ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ أى تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها .. وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ قال ترسل الريح فتحمل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة .. وقال الضحاك: يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء[٢] . وهل يقول العلم الحديث غير هذا ؟ وهل ينكر أحد أن الريح تلقح السحاب فينزل المطر وتلقح الشجر فيزهر ويثمر ؟

وهذه صورة علمية أخرى من القرآن الكريم الذى أوحاه الله إلى محمد بن عبد الله- عليه الصلاة والسلام- إنها صورة فى نفس الموضوع ولكن بتعبير بلاغى جديد ، وبتصوير آخر بديع ، تقرأ الصورتين فتعجب من كل منهما تصويرا وتعبيرا

---

(١) الحجر : ٢٢ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٢ ، ص ٥٤٩ .

فصاحة وبلاغة ، فلننظر ماذا يقول كتاب الله فى هذه الصورة:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١)

فالقضية هنا بيان كيفية تكون المطر ونزوله وعلاقة الرياح بالسحاب فى هذا الأمر ، قال عبيد بن عمير الليثى: يبعث الله المثيرة فتُقِم الأرض قما ، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب (٢) . فهل يمكن لشخص محمد أن يعرف العلاقة الموجودة بين الرياح والسحاب والمطر إلا عن طريق هذا الوحى الذى أوحاه الله إليه وهو القرآن الكريم ؟

ونأتى إلى مثال علمى عظيم ما زالت البشرية تنتفع به إلى يومنا هذا ، وقد أخبر به القرآن الكريم حيث نزل وحيا على محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام- منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، ذلك قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾ (٣).

لقد اتفقت النظريات الحديثة فى علم البصمات مع هذه الآية ، فتسوية البنان شىء ممكن لله تعالى ولكن الله خلق الإنسان غير متماثل البنان ، وقد انتفع العلم الحديث بهذا، حيث ثبت بالبحث العلمى والتجارب المعملية أن جميع بصمات الناس ليست متساوية بل هى مختلفة فى كل مكان من العالم ؛ ولذلك استعمل العلم الجنائى بصمة الإنسان فى تحقيق شخصيته ، يقول صاحب كتاب مناهل العرفان بعد هذه الآية : « أرجوا أن تقف قليلا عند تخصيصه « البنان » بالتسوية فى هذا المقام ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الشخصية) فى عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شىء وأبدعه فى بناء جسم الإنسان هو تسوية

---

(١) النور : ٤٣ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٣، ص ٢٩٧ .

(٣) القيامة : ٣ ، ٤ .

(أى خلق) البنان حتى أنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال ، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكموا البنان فى كثير من القضايا والحوادث ، فتبارك الله أحسن الخالقين[١] ، فمتى توصل العلم الحديث إلى هذه الحقيقة ؟ فى العصر الحاضر ؟ بعد محمد بمئات السنين ؟ لكنها نزلت على محمد وحيا سماويا منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، فهل عرفت بهذا التوراة ؟ وهل تحدث عن هذا الإنجيل ؟ وهل كانت القبائل العربية تعرف ذلك حتى يدعى أن محمدا عرف هذا من الكتب السابقة أو من بيئته ؟ ليس هناك من سبيل لمعرفة ذلك إلا الوحى السماوى الذى هو هذا القرآن الكريم .

إن « القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية وهى وقائع كثيرة جدا خلافا لقلتها فى التوراة، إذ ليس هناك أى وجه للمقارنة بين القليل جدا لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية فى القرآن وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية»[٢].

وأخيرا نقول: إن القرآن وحى سماوى؛ لأنه معجز من جميع الوجوه ولجميع أهل الأرض ، ذلك أنه الكتاب الوحيد الذى كتب وتمت كتابته ورتب ونظم فى عهد الرسول الذى نزل عليه ويبقى كتابه هذا بعد وفاته معجزة باقية بقاء الدهر ، فقال سبحانه :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٣] ، فإذا كانت معجزات موسى قد انتهت بانتهاء وقتها وأداء مهمتها وإذا كانت معجزات عيسى قد انتهت بانتهاء وقتها وأداء مهمتها ، فإن معجزة محمد ﷺ لم تنته ، ولم تنقض بل ما زالت باقية كتابا حكيما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد ، إنه ما زال معلنا تحديه للجميع لكن أحدا لا يستطيع أن يجاريه أو يدانيه .

ولرحمة الله الهندى فكرة وجيهة لا بأس من الاستعانة بها هنا إذ يقول عن القرآن الكريم:

---

(١) الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن (ط ٣) جـ١ ،ص: ١٩/ ٢٠

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دار المعارف بمصر ، ص : ١١/ ١٢) .

(٣) الحجر : ٩ .

« كونه معجزة باقية متلوة فى كل مكان مع تكفل الله بحفظه ، بخلاف معجزات الأنبياء فإنها انقضت بانقضاء أوقاتها ، وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول إلى زماننا هذا ، وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين[١] وحجتها قاهرة ، ومعارضته ممتنعة وفى الزمان كلها ، القرى والأمصار مملوءة بأهل اللسان وأئمة البلاغة ، والملحد فيهم كثير والمخالف العنيد حاضر ومهيأ وتبقى إن شاء الله هكذا ما بقيت الدنيا وأهلها فى خير وعافية ، ولما كان المعجز منه بمقدار أقصر سورة فكل جزء منه بهذا المقدار معجزة فعلى هذا يكون القرآن مشتملا على أكثر من ألفى[٢] معجزة »[٣] .

والقرآن الكريم وحى الله؛ لأنه الكتاب السماوى الوحيد الذى اهتم بوحدانية الله فدعا إليها ونقاها من وثنية الشرك ، وبنوة عزير اليهودى ، وبنوة عيسى ابن مريم التى ادعاها النصارى ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٤] .

والقرآن الكريم وحى الله؛ لأنه الكتاب الإلهى الذى صدق بالكتب السابقة وأثبت وجودها وهو المهيمن عليها ، قال عز وجل:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

---

(١) وهذا وقت كتابته لكتاب ((إظهار الحق)) أما أنا فأقول : إنه قد مضى أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

(٢) وهذا على أن آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية وكسر ، وأقصر سورة ثلاث آيات وإذن يكون القرآن مشتملا على أكثر من ألفى معجزة .

(٣) رحمة الله الهندى : إظهار الحق جـ٢ ص : ٩٧ / ٩٨ .

(٤) التوبة : ٣٠-٣١ .

(١)

وهو الكتاب الذى آمن بجميع الرسل والأنبياء وأعطاهم حقهم من التعظيم والتقديس ونزههم عن الفواحش والسيئات التى اتهموا بها فى بعض الكتب السابقة ، قال سبحانه :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (٢).

والقرآن الكريم وحى سماوى؛ لأنه الكتاب الذى اهتم بالدعوة إلى عمل الصالحات وترك السيئات ، كما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر بصورة لا مثيل لها فى الكتب السابقة ، فإذا كانت بعض الكتب السابقة قد ركزت على أمور الحياة المادية . والبعض الآخر قد صب جل اهتمامه على الروحانيات ، فالقرآن الكريم قد جمع بين أمور الدنيا والآخرة . واهتم بحاجات الجسم ومتطلبات الروح ، فقال سبحانه :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣).

حقا، القرآن الكريم وحى سماوى نزل من المولى- عز وجل- على رسوله محمد ﷺ وليس لمحمد فيه من عمل إلا وعيه وحفظه ونقله نقلا صحيحا عن رب العزة وتبليغه تبليغا أمينا للناس أجمعين ثم تبيينه لهم وتفسيره وتطبيقه وتنفيذه . ولا يستطيع إنسان عاقل غير حاقد إنكار هذه الحقيقة ، فقد تضافرت الأدلة والبراهين على هذا ، وشهد بذلك كل الباحثين المنصفين ، والتاريخ نفسه قد سجل هذا فى سجلاته ، وما على المنكرين من سبيل إذا ما قرأوا هذا التاريخ وعرفوا منه هذه الحقيقة .

---

(١) المائدة : ٥٠.

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) القصص : ٧٧.

وحقيقة الإنسان الذى نزل عليه هذا الوحى ، والأحداث التى قارنت نزول الوحى ، والنصوص القرآنية الكثيرة ذات الاستدلالات المتعددة ، هذه كلها شواهد وبراهين تؤكد بلا شك أن القرآن الكريم وحى إلهى وكتاب سماوى نزل على إنسان عربى اصطفاه الله واختاره للرسالة وليس له فى هذا الوحى سوى التلقى عن ربه بواسطة جبريل وتبليغ هذا الوحى للناس وتعليمه لهم وتطبيقه عليه وعليهم .

لقد جاء فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (١) .

ولو كان هذا الكتاب من صنع البشر وليس بوحى لكان قد وجدت به من الأخطاء والأغلاط والاختلافات ما يشهد على صنعته البشرية ، إذ كيف لإنسان لا يعرف القراءة ولا الكتابة يأتى بهذا الكتاب الواسع الشامل الممتلئ علما وحكمة ، آدابا وأخلاقا ، عقيدة وشريعة ، سياسة حربية وعلاقات دولية ؟

وكيف يعطينا إنسان لا يعرف القراءة ولا الكتابة تحديدا دقيقا للسنين التى عاشها نوح ، وسنوات أهل الكهف ، وهو لم يدرس الحساب ولا الأنساب ، ولم يدرس التاريخ ولا علم الاجتماع ؟

كيف يأتى بهذا وبكثير غيره بهذه الدقة دون خطأ أو اضطراب أو تناقض ؟ قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢) .

نعم، لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافات واضطرابات كثيرة وذلك لأن القرآن الكريم نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة- تقريباً- ومع هذا يقرؤه القارئ فيجده محكم النسج، دقيق السبك ، مترابط المعانى ، متناسق الآيات

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) النساء : ٨٢ ، ما ذكره المستشرقون والمبشرون من وجود التضارب والتناقض فى القرآن استنادا على تعدد القراءات رصحة نزول القرآن على سبعة أحرف سيرد عليه فيما بعد إن شاء الله .

والسور، ولو كان من صنع البشر – حتى لو كان هذا البشر محمدا بن عبد الله – ونزل هكذا حسب الوقائع والأحداث لظهر فيه التفكك والاضطراب ولما أمكن أن يكون متوافقا متناسقا كما هو الحال فى القرآن الكريم الذى نزل وحيا من الحكيم العليم.

وهذا اعتراف من أحد النصارى فى العصر الحاضر يسجل فيه صدق القرآن وصحته سندا ومتنا فيقول :

« القرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ عن طريق جبريل .قد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان وقد رتب فى سور بأمر من محمد ﷺ نفسه ، وجمعت هذه السور فور موت النبى ﷺ وفى خلافة عثمان – (من السنة الثانية عشرة إلى السنة الرابعة والعشرين التالية لوفاة محمد ﷺ) – ذلك لتصبح النص الذى نعرفه اليوم [1] » .

والأحداث التى قارنت نزول الوحى على رسول الله ﷺ هى الأخرى تدل على أن هذا القرآن وحى الله العلى القدير وليس من عند محمد ، فلقد كان نزول جبريل ولقاؤه محمدا فى غار حراء أول صورة شاهدة بذلك ، لقد قال جبريل لمحمد : اقرأ فيقول محمد : ما أنا بقارئ فيمضه جبريل إليه ويضغط عليه مرة ومرة ومرة ، فلماذا يضغط جبريل عليه هكذا ؟ وما الحكمة فى هذا ؟ ليكون ذلك دليلا حسيا وعمليا على أن محمدا يتلقى وحيا إلهيا بالفعل وليس يحلم وليس يتخيل - كما يدى المدعون – وإنما هذا الذى يراه ما هو إلا حقيقة ، وهو الوحى الإلهى نزل عليه من الله الذى اختاره رسولا لتبليغ هذا الوحى إلى الناس أجمعين .

لقد كان أول وحى نزل على الرسول فيه مطالبة من جبريل بالقراءة ، ثم ضم وضغط ، ويعود محمد إلى بيته مرتجفا مرتعدا وتشاهد خديجة هذا ، وتذهب به إلى ورقة بن نوفل ويشهد بأن ما نزل على محمد إنما هو الناموس الذى أنزله الله على موسى عليه السلام هذه كلها شواهد حسية تقول لكل منكر ومعاند هذا القرآن وحى سماوى نزل على محمد ﷺ من رب العزة جل وعلا . وإلا فما الذى يلجئ محمدا إلى تحمل هذا الألم ، وهذا الرعب، وهذا الخوف ؟ ولو كان يريد مالا فالناس قد

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم، ص : ١٠ / ١١ .

عرضوا عليه المال فلم يقبل ، ولو كان يريد جاها وسلطانا فالناس قد عرضوا عليه الملك والرئاسة فرفض ، فلماذا يعرض نفسه لهذه المواقف الصعبة ؟

وهل يستطيع إنسان أن يفتعل هذا الخوف وهذا الاضطراب بحيث يتملكه الرعب ويسيطر عليه الخوف ويشهد بهذا ورقة بن نوفل والسيدة خديجة ؟ إن العلم والطب ليشهدان « أن الخوف والرعب ورجفان الجسم وتغير اللون ، كل ذلك من الانفعالات القسرية التى لا سبيل إلى اصطناعها والتمثيل بها ... وقد كان الله- عز وجل- قادرا أن يربط على قلب رسوله ويطمئن نفسه بأن هذا الذى كلمه ليس إلا جبريل : ملك من ملائكة الله جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس ولكن الحكمة الإلهية الباهرة اقتضت إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها وبيان أن شيئا من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامى لم يطبخ فى ذهن الرسول- عليه الصلاة والسلام- سابقا ولم يتصور الدعوة إلى شىء منه سلفا »[1] .

ولقد شاهد الذين كانوا حول رسول الله ﷺ كثيرا من هذه الظواهر ، فلقد شاهدوه وقت نزول الوحى وهو فرق الناقة فإذا بها تنزل إلى الأرض من ثقل الوحى ، ورأوه وقت نزول الوحى فى جو شديد البرد ولكنه كان يتصبب عرقا ، ورأوه بعد هذه المظاهر يدعو كتبة الوحى ويقول لهم اكتبوا كذا أو بشروا فلانا بنزول قرآن فى حقه ، كما كان مع السيدة عائشة- رضى الله عنها- حين تغشاه الوحى ونزلت براءتها من السماء ، تقول السيدة عائشة :

« ... كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها ، قالت فو الله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه ، قالت فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى يا عائشة أما الله- عز وجل- فقد برأك[2] » .

---

(١) د . محمد سعيد رمضان البوهى ، كبرى اليقينيات الكونية (ط ٨ سنة ١٤٠٢هـ) ص : ١٩٠ / ١٩١.

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص : ٢٧٠ .

ومن يقرأ القرآن سيقابله كثير من الضمائر التى تشير إلى الرسول ﷺ ويستحيل معها أن يكون هو قائل هذا الوحى ، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ ﴾ (١).

فكاف الخطاب هنا تمنع أن يكون محمد- عليه الصلاة والسلام- قائل هذا القرآن ومؤلفه ، وفى ذات الوقت تؤكد أن هذا القرآن وحى إلهى لأنه لا يعقل أن يخاطب الإنسان نفسه وهو وبهذه الرجاحة العقلية والفكرية ، ولا يجوز فى الأسلوب العربى أن يستعمل الإنسان كاف الخطاب لنفسه فيقول : ربك ، يعطيك مخاطبا بها نفسه اللهم إلا إذا كان هناك سبب مرضى ، ومحمد عليه السلام كان بريئا من مثل هذه الأمراض فكان صحيح العقل والفكر ، وقد شهد له بهذا الأعداء والأصدقاء .

ومثل هذا أيضا التحدث بياء المتكلم كقوله تعالى:

﴿ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٦ ﴾ (٢) .

فلو كان محمد ﷺ هو كاتب هذا القرآن لكان قد كسب ود العرب فغير وبدل حسب هواهم ، ولكنه لم يستطع أن يفعل هذا ؛ لأن القرآن وحى إلهى ليس لمحمد فيه من عمل إلا تلقيه وحفظه وفهمه وتبليغه للناس وتعليمه لهم .

ولقد أفحم القرآن الكريم هؤلاء المتقولين على رسول الله ﷺ ، فلقد كان عليه السلام يعيش بينهم طيلة أربعين سنة لا يحدثهم بشىء ولو كان الأمر راجعا لهواه ورغبته لكان قد ادعى هذا الوحى قبل ذلك ، إذ لا سبب يستوجب تأخير الإعلان عن

---

(١) الضحى : ١-٨ .

(٢) يونس : ١٥-١٦ .

هذا الوحى حتى بلغ محمد الأربعين سنة .

وغير هذا وذاك ، لو كان محمد هو الذى كتب القرآن بنفسه لكان فى إمكان العرب حينئذ أن يأتوا بمثل هذا القرآن – كما فعل محمد حسب دعواهم – فهو منهم ويتكلم لغتهم ولم يثبت أنه قال قصيدة شعرية مثل ما قال فصحاؤهم ، فكيف عجزوا عن مجاراته إن كان هو قائل هذا القرآن من عند نفسه ؟

ومما يؤكد أن القرآن وحى إلهى أنه تضمن عتابا لرسول الله ﷺ وليس يعقل أن يعاتب الإنسان نفسه ويظهر هذا أمام الناس كتابا يقرءونه صباح ومساء ، ومقتضى الحكمة – التى يفترض وجودها فيمن جاء بمثل هذا الكتاب من عند نفسه – ألا يسجل على نفسه هذا العتاب ، لكنها الأمانة فى التلقي وفى النقل ، إنها الصدق والتثبت واليقين الذى نقل قول الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[2] ، وقول عز وجل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[3] ، أليست هذه الآيات شاهدة بأن هذا القرآن الكريم وحى سماوى، وأنه عليه الصلاة والسلام يكلم من رب العزة ؟

لقد أخبر محمد بن عبد الله ﷺ عن أمور مستقبلة فحدثت وتحققت وشاهدها المؤمن والكافر ، فمن أين لمحمد غيبها ؟

ولقد كان مشركو قريش واليهود فى دأب مستمر وبحث متواصل للحصول على وسيلة يكشفون بها حقيقة هذا الذى يقول عنه محمد أنه وحى ينزل عليه من

---

(١) الأنفال : ٦٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٧ .

(٣) عبس : ١-١٠ .

رب العزة ، فأرسلت قريش بعض رجالاتها إلى يهود المدينة ، ويعطيهم اليهود ثلاثة أسئلة هى فى نظرهم الميزان والحكم الذى يبين هل محمد نبى يوحى إليه أم دعى متقول؟ وكانت الأسئلة الثلاثة عن حقيقة الروح ما هى؟ ومن هم الفتية الذين ذهبوا فى الزمان الغابر؟ ومن هذا الرجل الذى جاب المشرق والمغرب ؟

عن ابن عباس قال : « بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ :أخبركم غدا عما سألتم ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة » [1] ، نعم لقد سخر أهل مكة منه ﷺ ، وتأولوا عليه ولم يستطع أن يأتيهم بما وعد لأنه لا يتكلم من عند نفسه وإنما بوحى من الله تعالى ، والوحى الإلهى هو الذى يجيب عن هذه الأسئلة .

لقد روج أهل مكة الإشاعات وبثوا الأقاويل على محمد ، واغتنموا فرصة للنيل منه عليه السلام ومن رسالته ومن هذا الوحى الذى يدعيه ، ولو كان محمد هو الذى يؤلف القرآن ويدعيه وحيا لكان قد سارع بإجابة قريش على ما سألت ولا يوقع

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص٧١/ ٧٢ .

نفسه فى هذا الهرج والمرج ، والقيل والقال ، قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)

وأخيرا نقول لهذا المتقول – وأمثاله – على رسول الله ﷺ الذى يدعى أن محمدا صنع القرآن بنفسه ، وأن هذا القرآن ليس وحيا إلهيا ، نقول له: استفزز من استطعت من الناس– من العرب وغير العرب ، من العلماء وغير العلماء – بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وتجمعوا جميعا بما معكم من علم وأجهزة وآلات ثم اصنعوا مثل هذا القرآن ، وحينئذ ستفشلون فشلا ذريعا وستدركون أن هذا القرآن ما هو إلا وحى رب العالمين لمن اختاره رسولا للناس أجمعين .

والحق أن هذه القضية – قضية أن القرآن ليس من صنع محمد – « لو وجدت قاضيا يقضى بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التى جاءت بلسان صاحبها على نفسه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل؛ ذلك أنها ليست من جنس «الدعاوى» فتحتاج إلى بينة وإنما هى من نوع الإقرار الذى يؤخذ به صاحبه ولا يتوقف صديق ولا عدو فى قبوله منه ، إذ أى مصلحة للعاقل الذى يدعى لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة ، نقول أى مصلحة له فى أن ينسب بضاعته لغيره ، وينسلخ منها انسلاخا ؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن ، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدا يعارضه ويزعمها لنفسه[٢] » .

* * *

(١) الحاقة : ٤٤-٤٧ .

(٢) د. محمد عبد الله دراز . النبأ العظيم (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) ج١ ، ص١٤/ ١٥ .

الفصل الثانى

نزول القرآن على رسول الله

١- نزول القرآن مفرقاً:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ مفرقا على ثلاث وعشرين سنة . ثلاث عشرة سنة بمكة- كما هو رأى جمهور المسلمين- وعشرا بالمدينة [١] ، وفى نزول القرآن مفرقا هكذا دليل آخر على أن سند هذا القرآن سند قوى وأنه- أى هذا القرآن- قد أحيط بكل ضمانات الصدق والأمانة ؛ وذلك لأن نزول كتاب مثل القرآن الكريم فى هذا الحجم من الضخامة ، وفى مثل هذه الكثرة من قضايا العقائد والتشريعات والأحكام والآداب لو نزل مرة واحدة لعجز الناس عن استيعابه وفهمه ، ولصعب عليهم حفظه والمحافظة عليه من الضياع والنسيان، قال سبحانه:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [٢]

هذه الآية تثبت نزول القرآن مفرقا وأنه نزل شيئا فشيئا كى يقرأه رسول الله ﷺ على الناس على مكث أى على تؤدة وتمهل وتثبت ، وإذن فالهدف من هذا التنزيل المفرق قراءة القرآن على الناس بطريقة سهلة وميسرة بحيث يكون هذا على مهل وتؤدة كى يستوعبه المسلمون ويستطيعوا حفظه ، ويسهل عليهم الوقوف على أسراره وفهم دقائقه ، فإذا نزلت بعض الآيات واستطاع المسلمون قراءتها وحفظها وفهموا معانيها وأسرارها ثم نزلت بعد ذلك آيات أخرى لم تطغ الآيات الجديدة على الآيات السابقة؛ لأن هذه الآيات الأولى أصبحت مكتوبة فى السطور مطبوعة فى الصدور .

وفى نزول القرآن منجما مراعاة لظروف الناس ومشاغلهم وقدراتهم إذ لو أعطوا هذا القرآن كله جملة واحدة لضعفت هممهم عن تحمله ولعجزت عقولهم عن إدراكه وتفلت منهم تفلتا .

ولقد خطرت فكرة نزول القرآن جملة واحدة ببال كفار قريش واتخذوا من هذه

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى ، مناهل العرفان، جـ ١، ص: ٤٤ / ٤٥ .

(٢) الإسراء : ١٠٦ .

القضية مستندا يستندون عليه فى إملاء أمانيهم على الله وعلى رسوله متسائلين لِمَ لَمْ ينزل القرآن جملة واحدة كما هو الحال فى التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب ؟ وحينئذ بين الله الحكمة من نزول القرآن منجما، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [١] .

فقد حدد فى هذه الآية الهدف من تنزيل القرآن منجما ، ألا وهو : تثبيت فؤاد الرسول فيقوى قلبه على تحمل القرآن وحفظه والمحافظة عليه والعمل بما فيه ، ذلك العمل الذى يتكرر مرات ومرات ، وذلك أدعى لزيادة الحفظ والتثبت.

وإذا راعينا أن قوله تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ يعطى معنى مجيء الكلام بعضه على إثر بعض على تؤدة ومهل[٢] ، وأنه أيضا الترسل والتثبت[٣] ، إذا راعينا هذا علمنا أن طريقة نزول القرآن هذه إنما هى وسيلة من الوسائل التى أكرم الله أمة الإسلام بها للمحافظة على القرآن الكريم من الضياع أو النسيان أو الزيادة والنقص فيه؛ لأن مجيء الكلام على تؤدة وتثبت تتيح للمسلم حفظ هذا القرآن ووعيه وعيا تاما ، وترتيل القرآن ترتيلا ، أى إنزاله مفرقا حسب الحوادث وما يسألون عنه يكون أقرب إلى الحفظ والفهم والتثبت؛ لأن الارتباط بين آية من الآيات وهذا الحدث أو ذاك السؤال يطبع كلام الله فى عقل المسلم فلا يمحى ولا ينسى ، قال صاحب الكشاف مبينا الحكمة من نزول القرآن منجما :

« والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك (أى فؤاد الرسول) حتى تعيه وتحفظه لأن التلقى إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء ، وجزءا عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه » [٤] .

---

(١) الفرقان : ٣٢ .

(٢) الرازى ، مفاتيح الغيب (دار الفكر) م١٢، ج ٢٤، ص٧٩.

(٣) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) ، جامع البيان فى تفسير القرآن (دار المعرفة ، لبنان) م٩ ج٩ ، ص٨ .

(٤) الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل (دار المعرفة ، لبنان) مج٣، ص ٩١ .

ونزيد الأمر وضوحا بما جاء فى كتاب الإتقان من قوله :

« قال أبو شامة ... فإن قيل ما السر فى نزوله منجما ، وهلا أنزل كسائر الكتب جملة واحدة ؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ .. يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أى أنزلناه كذلك مفرقا ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أى لنقوى به قلبك، فإن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه . ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز »[1] .

وقد أفاض وأجاد الفخر الرازى فى توضيح الجواب على هذا السؤال فقال[2]: وأجاب الله بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾.

وبيان هذا الجواب من وجوه: (أحدها) أنه ﷺ لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو ، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرؤها موسى. (وثانيها) أن من كان الكتاب عنده ، فربما اعتمد على الكتاب وتساهل فى الحفظ، فالله تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل. (وثالثها) أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك ، أما لما نزل مفرقا منجما لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل. (ورابعها) أنه إذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ما حمل ، وعلى الصبر على عوار النبوة وعلى احتماله أذية قومه وعلى الجهاد. (وخامسها) أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا ، فإنه لو كان ذلك

---

(١) السيوطى (شيخ الإسلام) / جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن (ط ٣ سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) جـ١ ، ص٤١ .

(٢) الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب م١٢ ، ج ٢٤ ، ص٧٩ .

فى مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا. (وسادسها) كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعية لهم فكانوا يزدادون بصيرة ؛ لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب. (وسابعها) أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً وهو عليه السلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى فبهذا الطريق ثبت فى فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة. (وثامنها) أن السفارة بين الله تعالى وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال: إنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد ﷺ دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقا منجما بقى ذلك المنصب العالى عليه فلأجل ذلك جعله الله- سبحانه وتعالى- مفرقا منجما.

والخلاصة:

أن إنزال القرآن منجما هو طريق من طريق التثبت فى سند القرآن ونقله؛ لأن ذلك أدعى لحفظه والمحافظة عليه وعدم نسيانه [١] ، كما أن فيه عناية فائقة بالمتن وهو كلام الله العزيز .

٢- قضية نزول القرآن على سبعة أحرف [٢] :

قرأت فى كتاب « القرآن والمبشرون » [٣] أنه جاء فى ملحق جريدة النهار البيروتية بتاريخ ١/ ١/ ١٩٦٥م بحيث يتفق ما فيه مع ما كتبه الأب يوسف إلياس الحداد فى كتابه « القرآن والكتاب » ومضمون هذا البحث أن عثمان رضي الله عنه حين جمع

---

(١) فإن قيل قد ورد فى الأحاديث أن رسول الله قد نسى بعض آيات القرآن وذلك فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : ((كان النبى ﷺ يستمع قراءة رجل فى المسجد فقال (أى رسول الله) رحمه الله لقد أذكرنى آية كنت أنسيتها » ، فالجواب على هذا : بأن الإنسان المذكور فى الحديث إنما كان بعد تبليغه ﷺ هذه الآية للأمة (مسلم بشرح النووى) (دار الفكر) جـ٦ ، ص٧٦ ، وقد أجمعت الأمة على امتناع نسيان رسول الله فى الأقوال البلاغية واستحالة ذلك عليه (صحيح مسلم جـ٥ ، ص ٦١/ ٦٢) .

(٢) إنما أفردت لهذه الشبهة عنوانا خاصا بها – مع أنها إحدى الشبه التى أثيرت حول القرآن – لأنها كثر حولها اللغط والتعلق بالأمانى الكاذبة .

(٣) محمد عزة دروزة ، القرآن والمبشرون (ط٣ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص ٧٧ .

القرآن وكتبه على حرف واحد من الأحرف السبعة التى نزل بها قد أسقط بذلك الأحرف الستة الأخرى ، وهذا لإخفاء ما فى القرآن من مباينات وتناقضات واختلافات ، ثم عقد الحداد مقارنة بين كتابة القرآن بحرف واحد وكتابة الأناجيل الأربعة مدعيا أنها : كانت أربعة لأنها كتبت على أربعة أحرف ، ولم يكن فيها شيء يخشاه أهل الإنجيل من تناقضات وتباينات ؛ لذلك احتفظوا بها كما نزلت ، وهذه شهادات متعددة بصحة الأناجيل ووحدة جوهرها واتفاق معانيها مع اختلاف ألفاظها .

وكان مما تضمنه هذا البحث أن الشرع العالمى الدينى والمدنى لا تقوم صحته على شهادة واحدة ، وكاتب البحث يقصد بهذا التعريض والغمز بالقرآن الكريم ، ثم ختم البحث فى النهار بأنه بهذا يكون : لصحة الأناجيل أربع شهادات بينما القرآن ليس إلا شهادة واحدة .

وقد تضمن هذا الادعاء عدة أمور هى :

١- أن نزول القرآن على سبعة أحرف دليل على أنه كانت به تناقضات وتباينات أخفاها عثمان بكتابته على حرف واحد .

٢- أن الأناجيل كتبت على أربعة أحرف وهذه شهادة بصحتها وصدقها .

٣- أن الأناجيل خالية من التناقضات والتباينات .

٤- أن الأناجيل وإن اختلفت فى ألفاظها فإنها متحدة الجوهر متفقة المعنى .

٥- أن الأناجيل لها أربع شهادات ، والقرآن ليس له إلا شهادة واحدة .

فأما الأمر الثانى والثالث والرابع فهى ادعاءات ساقطة ، ولا تقوم حجة علينا لأننا قد بينا فى البحث الخاص بالأناجيل أنها – أى الأناجيل – مختلفة اللفظ متناقضة المعنى مفككة الجوهر، بها الكثير من الأخطاء والأغلاط ، وقد ذكرنا الأمثلة الدالة على هذا، فلا حاجة بنا إلى إعادة الحديث عنها مرة ثانية، ويكفى فقط أن نذكر صاحب هذا البحث بالتفكك والتناقض الواضح بين الأناجيل فى نسب عيسى عليه السلام وفى قصة صلبه ، وقصة ظهوره بعد الصلب .

أما ما يخصنا من هذه الأمور فى هذا البحث فهو الأمر الأول والخامس ، وعنهما نقول :

لو سلمنا جدلا أن الإنجيل كتب على أربعة أحرف وأن هذه أربع شهادات بصحته ، فالعبرة ليست بالعدد وإنما العبرة بالصدق والاستيثاق ، فشهادة واحدة متواترة أحيطت بضمانات الصحة والصدق أفضل من أربع شهادات أداها مخرف ودجال وكاذب وكافر ، فالقرآن وإن كان شهادة واحدة – كما يقول الحداد – لكن لا تجد فيه نصا متناقضا مع نص آخر كما هو الحال فى الأناجيل ، ولا تجد فى القرآن معنى يباين معنى آخر كما هو الحال فى نصوص الأناجيل الأربعة ، ومن كان غير مصدق فعليه بقراءة الأناجيل الأربعة وسيصل إلى الدليل بنفسه .

إن القرآن فى دعوته إلى الوحدانية الخالصة متفق مع ما جاءت به كافة الرسل والأنبياء ، أما الأناجيل فليست هكذا ، إذ إن الإله فيها نزل وتجسد فى رحم امرأة وعاش بين الأحشاء والدماء ونزل من الفرج وعليه المشيمة تغلفه وتغطيه ، والإله فى الأناجيل يضرب ويعذب ، ويصلب ويقتل وتدق المسامير فى يديه ويتألم ويصرخ ويستغيث .

وأما أن الأناجيل كتبت بأربعة أحرف ، فهذا ادعاء كاذب؛ لأن المفسرين للأناجيل أكدوا أن إنجيل متى كتب باللسان العبرانى ، وباقى الأناجيل كتبت باللسان اليونانى، فأين أربعة الأحرف فى هذا ؟ ثم إذا كان تعدد الأناجيل عبارة عن تعدد الأحرف التى نزلت بها، فالحقيقة أن هذه الأناجيل كانت أكثر من ذلك بكثير ، ودائرة المعارف الأمريكية تشهد بذلك ، فقد ذكرت من هذه الأناجيل تسعة وعشرين إنجيلا ، فهل نقول: إن الإنجيل نزل على ثلاثة وثلاثين حرفا ؟ ولو اكتشفنا أناجيل أخرى نزيد فى عدد الأحرف التى نزل بها الإنجيل مقابل هذه الزيادة التى اكتشفت بعد ذلك؟

أما قضية الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم ، فهذا حق لا مرية فيه، ولكن الذى ليس بحق هو الادعاء القائل بأن عثمان ﷺ أخفى ستة أحرف ، وأنه بهذا قد أخفى ما فى القرآن من تناقض وتضارب ، فالصحيح أن هذه الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن ما هى إلا تنويع فى وجوه القراءة ، تلفظا وأداء وذلك بقصد التسهيل على الناس فى قراءة القرآن الكريم ، وحين كتب عثمان القرآن على حرف واحد كان يريد بذلك وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها وذلك بسبب ما حدث من خلاف بين المسلمين فى قراءة القرآن الكريم راجع إلى عدم معرفة هذا القارئ بالحرف الذى يقرأ به القارئ الآخر .

ولو كان ما فعله عثمان أمرا مشينا وإخفاء لتناقضات فى القرآن واختلافات فيه لكان قد عمل على إخفاء الأحاديث التى تقول بنزول القرآن على سبعة أحرف ، ولما كان وقف على المنبر وقال :

« أذكر الله رجلا سمع النبى ﷺ قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » فقال عثمان ﷺ وأنا أشهد معهم [١] نعم لو كان عثمان يريد إخفاء اختلافات وتناقضات فى القرآن الكريم لما احتاج الأمر إلى إشهاد هذا الجمع كله ، ولكان الأفضل والأوفق فى مثل هذا الأمر أن يشكك - مثلا - فى روايات النزول على سبعة أحرف ويجبر الناس - وهو الحاكم- على إهمالها وتركها ، أما أن يشهد الملأ بأن القرآن نزل على سبعة أحرف فتلك محمدة وليست منقصة ؛ لأن التنويع في قراءة القرآن فيه تسهيل وتيسير على الناس فى قراءة القرآن ، فقد كانوا كما قال ﷺ « أمة أمية فيهم الرجل والمرأة ، والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط » [٢] .

إن ادعاء إخفاء عثمان لتناقضات فى القرآن الكريم يكذبه قول الرسول ﷺ : « أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » [٣] ، ففى هذا الحديث: أن الرسول هو الذى طلب الزيادة وأن جبريل هو الذى زاده هذه الأحرف ، فهى من الله ؛ ولأنها من الله فهى مبرأة من التناقض والتباين ، وبالتالى القرآن مبرأ من ذلك .

وإذا كان الرسول هو الذى طلب هذه الزيادة فهل يطلب زيادة تؤدى إلى التناقض والاختلاف ؟ وهل من يدعى أنه رسول يأتى الناس بالمتناقض الذى يحير سامعه أم يأتيهم بالمحبوك [٤] المتوافق المتناسق الذى يأخذ على الناس مشاعرهم وأحاسيسهم وألبابهم ؟

---

(١) رواه الحافظ أبى يعلى فى مسنده الكبير .

(٢) مسند أحمد بن حنبل م٥ ص ٤٠٠ ، ٤٠٥ .

(٣) اللؤلؤ والمرجان ، حديث رقم ٤٦٩ .

(٤) حبك الثوب ، أجاد نسجه ، وقال ابن الأعرابى : كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته (مختار الصحاح) .

إن من يكتب كتابا فى الجغرافيا أو التاريخ يحاول جهد طاقته حتى يخرج الكتاب على أحسن ما يكون نظما وفكرا وتنسيقا ، فمن باب أولى من يقول: إن هذا الكتاب وحى إلهى وتشريع دينى ..

ولو كان بالقرآن تناقض قبل جمع عثمان للقرآن ثم عمد إلى إخفاء هذا التناقض لكانت العرب قد اكتشفت هذا التباين والتناقض- بحكم بلاغتهم وفصاحتهم وسليقتهم العربية- منذ مجيء هذا القرآن ، وحينئذ يناقضون محمدا ويتحدونه ويبرزون هذه الاختلافات للغادى والرائح حتى يصرفوا الناس عن هذا الدين الجديد .

وهذا القرآن الذى وبخ اليهود والنصارى ووصفهم بالكفر والنفاق وأرذل الصفات ولعنهم فى الدنيا والآخرة ، لو كان فيه تناقض أو تباين لاغتنم بنو إسرائيل هذه الفرصة فكشفوا للناس عورات هذا الكتاب وبينوا ما فيه من أخطاء وأغاليط ، لكن ذلك لم يحدث؛ لأن الجميع كانوا يعرفون أن القرآن وحى منزل من الله تعالى وحينئذ لا يمكن أن يكون فيه تناقض أو تباين .

إن الرسول ﷺ قد حدد الهدف من هذه الأحرف السبعة فقال لأبى بن كعب :

« أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن أهون على أمتى فرد إلى الثانية اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف » [(١)] والتهوين على الأمة لا يجيز وجود التناقض والاختلاف فى هذا القرآن لأن ذلك يؤدى إلى الحيرة والصعوبة .

وتساءل الحداد – كاتب البحث – فى خبث ودهاء : لو كان المسلمون قد تركوا هذه الأحرف الستة – أى لم يحفوها – لكنا قد عرفنا ما كان فى الحروف الستة من تناقضات واختلافات بالنسبة إلى الحرف الذى أثبتوه واقتصروا عليه [(٢)] .

ونحن نقول للحداد: إن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة وهى: الأوجه[(٣)] التى يرجع إليها كل اختلاف فى القراءات ... ونحن إذا رجعنا

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم بشرح النووى – دار الفكر) م٣ ج٦ ص ١٠٢ / ١٠٣ .

(٢) محمد عزة دروزة ، القرآن والمبشرون (ط٣) ص٧٨ ، ٨٣ ، ٨٧ .

(٣) أستميح القارئ عذرا فى نقل ثلاث صفحات من كتاب وذلك لأهمية هذا الرد ، وبيان وجه الحق فيه .

بهذه الأوجة السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها فى الواقع ونفس الأمر ، نخرج بهذه الحقيقة التى لا تقبل النقض وتصل إلى فصل الخطاب فى هذا الباب ، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلا أو بعضا بحيث لم تخل المصاحف فى مجموعها عن حرف منها رأسا (وفيما يلى بيان ذلك).

أما الوجه الأول منه وهو اختلاف الأسماء إفرادا وجمعا .. إلخ نحو قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [١] المقروء بجمع الأمانة وإفرادها ، فقد اشتمل عليها المصحف إذا كان الرسم العثمانى هكذا :

﴿ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ ﴾ برسم المفرد فى الحروف ولكن عليها ألف صغيرة لتشير إلى قراءة الجمع ، وغير منقوطة ولا مشكولة .

وأما الوجه الثانى وهو اختلاف تصريف الأفعال نحو قوله سبحانه : ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ [٢] المقروء بكسر الكاف وضمها فى الفعل ، فقد وافقت كلتا القراءتين رسم المصحف العثمانى أيضا؛ لأن هيكل الفعل واحد فى الخط لا يتغير فى كلتا القراءتين ، والمصحف العثمانى لم يكن معجما ولا مشكولا.

وأما الوجه الثالث وهو اختلاف وجوه الإعراب كقراءة ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ ﴾[٣]. بفتح الراء وضمها ، فإن الرسم يحتملها كالوجه السابق ، وهو واضح .

وأما الوجه الرابع وهو الاختلاف بالنقص والزيادة فمنه ما يوافق الرسم فى بعض المصاحف نحو قوله سبحانه فى سورة التوبة:

---

(١) المؤمنون : ٨ .
(٢) الأعراف : ١٣٨ .
(٣) البقرة : ٢٨٢ .

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [١] . وقرئ « تجرى من تحتها » بزيادة لفظ «من» وهما قراءتان متواترتان، وقد وافقت كلتاهما رسم المصحف ، بيد أن ذات الزيادة توفق رسم المصحف المكى؛ لأن لفظ « من » ثابتة فيه ، أما حذفها فإنه يوافق رسم غير المصحف المكى حيث لم تثبت فيه أى فى غير المصحف المكى ، ومن هذا الوجه مالا يوافق رسم المصحف بحال من الأحوال نحو قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [٢] بزيادة كلمة «صالحة» فإن هذه الكلمة لم تثبت فى مصحف من المصاحف العثمانية فهى مخالفة لخط المصحف ؛ وذلك لأن هذه القراءة وما شاكلها منسوخة بالعرضة الأخيرة أى عرض القرآن من النبى ﷺ على جبريل آخر حياته الشريفة ، ويدل على هذا النسخ إجماع الأمة على ما فى المصاحف .

فتلخص مما ذكرنا أن بعض هذا الوجه الرابع اشتملت عليه المصاحف ، وبعضه لم تشتمل عليه لأنه نسخ .

وأما الوجه الخامس وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير فهو مثل سابقه، منه ما هو موافق لرسم المصحف نحو قوله سبحانه فى سورة التوبة: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [٣] .

قرئ الفعل بالبناء للفاعل فى الأول ، وللمفعول فى الثانى ، وقرئ بالعكس ، وهما قراءتان متواترتان ، ولا يخالف شيء منهما رسم المصحف ، ومنه ما خالف رسم المصحف نحو قوله سبحانه :

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٤]. وقرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت) فإن هذه القراءة الثانية لا يحتملها رسم المصحف وإن كانت منقولة عن أبى بكر

---

(١) التوبة : ١٠٠ .
(٢) الكهف : ٧٩ .
(٣) التوبة : ١١١ .
(٤) ق : ١٩ .

الصديق وطلحة بن مطوف ، وزين العابدين (رضى الله عنهم) لكنها لم تتواتر فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة ، وبإجماع الصحابة على المصحف العثمانى .

وأما الوجه السادس ، وهو الاختلاف بالإبدال، فقد وافق بعضه رسم المصحف وخالفه البعض أيضا ، مثال ما وافق الرسم قوله سبحانه:

﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [1] وقرئ ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ .

وهما قراءتان متواترتان وتوافق كلتاهما رسم المصحف ، ومثال الثانى قراءة إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله، وقراءة (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) .

فإنهما مخالفتان لرسم المصحف وذلك لنسخهما بالعرضة الأخيرة أيضا واستقرار الأمر على ما وافق الرسم منه وهو قراءة .

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقراءة ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ .

وأما الوجه السابع وهو الاختلاف بسبب تباين اللهجات فيوافق رسم المصحف موافقة تامة لأنه اختلاف شكلى لا يترتب عليه تغيير جوهرى الكلمة وهو ظاهر ، وتجد شواهد كثيرة فى خط المصحف تدل على بعض هذا النوع من الاختلاف ، نحو ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾فإنها رسمت هكذا بياء فى الفعل بعد التاء ، وبقلب ألف موسى ياء ومن غير شكل ولا إعجام [2] .

وبعد أن ذكرنا الصور السبع لنزول القرآن على الأحرف السبعة ، هل فى هذه الصور تناقض واختلاف ؟ وهل فى معانى الآيات تضارب وتباين ؟ وهل بين مدلولات معانى القرآن تدافع وتنافر؟

* * *

(١) الحجرات : ٦ .

(٢) محمد عبد العظيم الزرقانى ، مناهل العرفان جـ١ ، ص ١٦٢ – ١٦٤ .

الفصل الثالث

المسلمون والقرآن

١- تعلم المسلمين القرآن الكريم:

هذا طريق آخر من طرق التثبت والمحافظة على القرآن الكريم ، وذلك هو كيفية تعلم المسلمين للقرآن الكريم ، فما كان المسلمون يتجاوزون خمس الآيات إلا إذا حفظوها وفهموها ووعوها وعيا تاماً.

وكان المسلمون الأوائل يتدافعون ويتسابقون لسماع القرآن من رسول الله ﷺ وحفظه مشافهة منه ﷺ ، وقد ساعدهم على هذا نزول القرآن بلغتهم ، ومقدرتهم اللغوية ، وفصاحتهم التى اشتهروا بها ، وطباعهم السليمة حتى إنهم كانوا يؤدونه كما سمعوه من رسول الله ﷺ وبذلك لم ينقطع التواتر فى حفظ القرآن وسماعه من رسول الله ، وبالتالى لم يتطرق إلى القرآن الكريم تحريف ولا تبديل ولا خطأ ولا نسيان.

أخرج ابن عساكر عن أبى نضرة قال: كان أبو سعيد الخدرى يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشى، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات ، وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن عمر قال: « تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبى خمسا خمسا » ، وأخرج البيهقى أيضا عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: احفظوا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن النبى ﷺ كان يأخذه عن جبريل خمسا خمسا » .

ولا شك أن إنسانا يشحذ ذهنه ويجمع قدراته وذكاءه وما فى نفسه من شوق وحب للقرآن من أجل دراسة خمس آيات ، لا شك أن هذا الإنسان فى النهاية سيكون قد أتم حفظ هذه الآيات ووعاها وفهمها فهما تاما ، وهذا فى حد ذاته وسيلة من وسائل المحافظة على القرآن الكريم والتثبت فى كتابته ونقله، وهذه منة عظيمة ونعمة جليلة امتن الله بها على أمة الإسلام .

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يعرضون ما حفظوه من القرآن وما كتبوه منه على رسول الله استيثاقا وتثبتا من حفظهم وكتابتهم للقرآن.

وقد ذكرت كتب الأحاديث أسماء كثيرة من الصحابة الذين كانوا حافظين

للقرآن فى صدورهم- والرسول بين أظهرهم- فضلا عن كونه مكتوبا عندهم ، من هؤلاء:

١- أبو بكر الصديق.
٢- عمر بن الخطاب.
٣- عثمان بن عفان.
٤- على بن أبى طالب.
٥- عبد الله بن مسعود.
٦- معاذ بن جبل.
٧- سالم بن معقل مولى أبى حذيفة.
٨- أبى بن كعب.
٩- زيد بن ثابت.
١٠- أبو الدرداء.
١١- أبو زيد بن السكن.
١٢- سعيد بن عبيد.
١٣- طلحة بن عبيد الله.

ويضاف إلى هؤلاء السبعون الذين قتلوا ببئر معونة فى عهد النبى ﷺ ، ومثل هذا العدد قتل فى يوم اليمامة ، وغيرهم كثير .

وهكذا حفظ الصحابة القرآن الكريم ، ودرسوه ثم نقلوه إلى من بعدهم ، وتوالى نقل القرآن – حفظا وكتابة – من جيل إلى جيل ، ومن جماعة إلى جماعة عن طريق الحفظ فى الصدور والتلقى سماعا ، وتلك هى أقوى وأمتن الوسائل والطرق فى المحافظة على الكتب الدينية سندا ونقلا ، نصا ومتنا ، ولم تكن تلك الطريق لكتاب غير القرآن ، قال ابن الجوزى :

« إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة »[1] .

ولقد كان من شدة اهتمام الرسول ﷺ بالقرآن والمحافظة عليه والتثبت فى حفظه أنه عليه السلام كان يعرض ما معه من القرآن على جبريل فى كل عام مرة ، فكان عليه السلام يقرأ القرآن أداء كما سمعه من جبريل ، وجبريل يقابل هذا بالوحى الإلهى . وفى العام الذى توفى فيه رسول الله عرض القرآن على جبريل مرتين » .

عن عبد الله بن مسعود- رضى الله عنهما- قال: « كان رسول الله ﷺ أجود

(١) نقلا عن كتاب مباحث فى علوم القرآن ، مناع القطان (ط١٢ سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣) ، ص ١٢٣

الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن »[١] وعن عائشة وفاطمة- رضى الله عنهما- «سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل سنة وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى »[٢] .

٢- كتابة القرآن:

حين نتحدث عن كتابة القرآن وجمعه نجد أنفسنا أمام أقوى الأسانيد وأعلاها صدقا وأمانة وتثبتا .

فالقرآن الكريم يمتاز عن الكتب السابقة بأنه الكتاب السماوى الوحيد الذى كتب كله وتمت كتابته والرسول الذى نزل عليه حى يقرؤه أمام المسلمين ويسمعونه منه ، ثم لما مات بقى هذا الكتاب كما هو – حتى يومنا هذا – بلا زيادة ولا نقصان ولا تغيير لأنه كان قد نقش فى صدور المسلمين حفظا وتثبتا ، وكتبوه فى السطور على العسب واللخاف والرقاع والأكتاف ، وكانوا يتدارسونه فيما بينهم والمصطفى ﷺ بين أظهرهم يفسره لهم ويشرحه ويوضحه ، ومنعا للشبهة أو اختلاط القرآن بغيره كان ﷺ يمنع المسلمين من كتابة السنة وقت نزول القرآن أو كتابتها معه فى صحيفة واحدة، فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « لا تكتبوا عنى ومن كتب غير القرآن فليمحه »[٣] ، فلما خالطت بشاشة القرآن قلوبهم وتعودوا على أسلوبه وأصبحوا مدركين للفرق بين السنة والقرآن بلاغة وفصاحة ، لفظا ومضمونا ، سمح لهم الرسول ﷺ بكتابة السنة ، وهذا من عوامل وأسس تأكيد الثقة والصدق فى كتابة القرآن ونقله .

ولم ينتظر الرسول حتى انتهاء نزول القرآن فيكتبه كله مرة واحدة، وإنما كان يكتبه أولا بأول حتى لا يطرأ سهو أو نسيان من هذا أو ذاك ، وكذلك حتى لا يقع كتبة الوحى فى خطأ وهم يكتبون بسبب كثرة ما يكتبونه عن الوحى إن هم أخروا الكتابة حتى نزول القرآن كله.

كذلك لم يكتب القرآن عن طريق شخص واحد حتى لا يقال: إنه يمكن لهذا

---

(١) متفق عليه (وانظر فتح البارى بشرح البخارى) جـ١ ، ص ٣٣ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل م١ ، ص ٢٧٥ / ٢٧٦ ، وأيضا ابن ماجه ، كتاب الصيام باب ٥٨ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ، ص١٢٩ .

الشخص أن يتصرف فيما كتبه أو فيما يكتبه بالزيادة أو النقصان، وإنما كان لرسول الله ﷺ كتبة متعددون يكتبون الوحى الذى يمليه الرسول عليهم ، فلا ننسى عليا ، ولا معاوية ، ولا أبى بن كعب ، ولا زيد بن ثابت ، أولئك الذين يكتبون الوحى ويحفظونه من رسول الله فى نفس الوقت ولا ننسى بقية المسلمين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة حيث كانوا يتسابقون إلى كتابة أى آية تنزل على رسول الله ﷺ ثم كانوا يعرضون ما كتبوه على رسول الله زيادة فى التثبت .

وازديادا فى التثبت والاستيثاق كان ﷺ إذا أمر كتبة الوحى بكتابة آية من كتاب الله طلب منهم قراءتها عليه فيعرض ما كتبوه على ما كان تلقاه من جبريل ، والذى أصبح محفوظا فى صدره ﷺ يجرى به لسانه سهلا ميسرا ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[1].

وبعد أن تمت كتابة القرآن الكريم كله وانتهى الوحى السماوى بدأت مرحلة جديدة من مراحل المحافظة على القرآن الكريم والتثبت في كتابته ونقله ، تلك هى مرحلة جمع القرآن ، وقد كانت هذه المرحلة على صور ثلاث كل صورة منها هى عامل ثقة ووسيلة أمينة فى تلقى المسلمين لهذا القرآن جيلا عن جيل حتى وصل إلينا بطريق التواتر حفظا وكتابة .

٣- جمع القرآن الكريم:

كانت الصورة الأولى من جمع القرآن الكريم هى جمع الرسول ﷺ ، وكان هذا جمعا تنظيميا قائما على جمع الآيات المفرقة فى سورها وترتيبها وترتيب سور القرآن[2] حسب ما أمر الله به وأوحاه إلى رسوله محمد ، فلم يلحق ﷺ بربه إلا وقد كان معلوما لدى كل مسلم أن الآية كذا تسبقها الآية كذا وتليها الآية كذا. وكذلك رتب رسول الله ﷺ سور القرآن ، وحدد للصحابة مكان كل سورة ، فكان يقول لهم : اجعلوا السورة كذا بعد سورة كذا ، وقرأ رسول الله ﷺ القرآن الكريم مرتبة آياته وسوره ، وقد عرفنا قبل ذلك أنه ﷺ كان يقرأ القرآن على جبريل فى

---

(١) القيامة : ١٦-١٧ .

(٢) وهذا رأى من ثلاثة آراء أراه أرجحها (الزرقانى ، مناهل العرفان جـ١ ، ص٣٤٧) .

كل عام مرة وفى عام وفاته عرضه على جبريل مرتين ، وكان هذا بترتيب آياته وسوره ، وإن عملا كهذا لهو دلالة قوية على تثبيته ﷺ فى كتابة القرآن الكريم حتى نقل للمسلمين بلا زيادة أو نقص ، قال البغوى فى شرح السنة:

« الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا أو وصفوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا »[1] .

ويكفى فى هذه الصورة من دلالة على ثبوت القرآن وصدقه نقلا وكتابة أن هذا الجمع شاهده جميع المسلمين الذين كانوا فى ذلك الوقت وطبقوه على ما كتبوه وما حفظوه .

أما الصورة الثانية من الجمع فهذه كانت فى عهد أبى بكر الصديق ﷺ ، وذلك أنه لما توفى رسول الله ﷺ كان القرآن مفرقًا فى الأخشاب والعسب والأكتاف .. إلخ ، ولم يكن مجموعا فى مصحف واحد فأمر الصديق ﷺ بجمع الآيات ووضعها فى السور مرتبة بترتيب رسول الله ﷺ لها ، وكذلك وضع السور مرتبة حسب ما فعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكان السبب فى هذا أن كثيرا من صحابة الرسول الذين كانوا من حفظة القرآن قد قتلوا فى معركة اليمامة التى كانت فى السنة الثانية عشرة للهجرة ، وقد استشهد فى هذه المعركة سبعون قارئا من الصحابة الحافظين والقارئين للقرآن الكريم ، وخوفا من ضياع القرآن بموت واستشهاد حفظته أشار عمر علي أبى بكر بجمع القرآن وكتابته ، وبعد مشاورات شرح الله صدر أبى بكر لما أشار به عمر ، فأرسل ﷺ إلى زيد بن ثابت الأنصارى وكلفه بهذه المهمة الشاقة ، يقول زيد بن ثابت فيما رواه البخارى :

« أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر:

---

(١) السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن جـ١ ص ٦١ .

إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر – اشتد – يوم اليمامة بقراءة القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن اجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال » [١].

وأخرج ابن أبى داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال قدم عمر فقال: « من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به » وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان » ، وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ القرآن فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط [٢] .

وأتم زيد المهمة التى كلفه بها خليفة رسول الله ، فجمع الآيات من هنا ومن هناك ، من هذا ومن ذاك ، واحتاط فى ذلك كل الاحتياط فكان لا يأخذ آية من أحد إلا إذا شهد شاهدان بسماعهما لهذه الآية من رسول الله ﷺ .

وقد توافرت لهذا الجمع كل شواهد الصدق والتثبت والأمانة فى النقل والجمع والكتابة ، فأبو بكر الصديق ﷺ لم يجمع الصحف بنفسه سرا دون أن يعلم بذلك أحد ، ولم يسند هذه المهمة لشخص عادى ليست لديه مؤهلات القيام بمثل هذا العمل الشاق ، وإنما وفق الله المسلمين فى هذا الجمع حتى قام على قواعد وأسس قوية تنفى ادعاء مدع بأن القرآن قد زيد فيه أو أنقص منه ، أو أن في سنده ضعفا أو إسقاطا ، أما هذه الأسس فهى:

---

(١) علوم القرآن جـ١ ، ص : ٥٧ / ٨٥ .

(٢) علوم القرآن جـ١ ، ص : ٥٧ / ٨٥ .

١- إن الذى أشار بهذا الجمع هو عمر بن الخطاب الذى اشتهر بصلابته فى الحق ، وكان لا يخاف فى الحق لومة لائم ، فلو كان قد رأى في هذا الجمع شيئا مخالفا للحق لما أشار به ، ولو كان قد رآه قد تم على غير وجه الحق ما قبله أبدا .

٢- إن الذى أمر بهذا العمل هو خليفة رسول الله ﷺ الذى اختاره الرسول ليؤم الناس فى الصلاة فى مرض موته ﷺ ، وهو الذى قال للناس يوم تولى أمرهم لو رأيتم فى اعوجاجا فقومونى ، فوالله لو كان أبو بكر قد رأى فى هذا العمل بعدا عن الحق وسكت عنه – وحاشا لله أن يكون ذلك من أبى بكر – لقومه الناس وعارضوه فى هذا لأنه أعطاهم الحق فى معارضته إن وجدوا فيه اعوجاجا .

٣- إن الذى قام بهذا الجمع كان من خيرة شباب الأنصار ، فقد كانت له مكانته فى القراءة والكتابة ، والفهم والعقل ، وقد شهد العرضة الأخيرة للقرآن فى ختام حياة الرسول ﷺ وكان حافظا للقرآن كله ، وكان من كتبة الوحى الذين ائتمنهم الرسول على الوحى الإلهى .

٤- هذا الجمع لم يكن سرا وإنما كان أمام أعين الناس ، عرف به كل مسلم وأقر به المسلمون جميعا، وشهدوا عليه ، وباركوا هذا العمل لأنه كان خيرًا .

* * *

٥- لم يكتف زيد بن ثابت بوجود الآية أو الآيات مكتوبة عند هذا أو ذاك ، وإنما كان لابد مع هذا من وجود شاهدين يشهدان بأنهما تلقيا هذا سماعا أو أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ ، أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد « اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » .

واحتمال وقوع الزيادة أو النقص أو الخطأ من أصحاب هذه الصحف أمر مستبعد جدا ؛ لأن الصحابة قد شاهدوا تلاوة القرآن من النبي سنين عديدة وقد باشروا هذه التلاوة بأنفسهم ، فأي شيء يكون مخالفًا لما قاله رسول الله سيكون نشازا وأمرا مستغربا ، ولم يثبت شيء من هذا أبدا .

على أن هذا ما كان يمكن حدوثه ؛ لأن الآية الواحدة تكون موجودة عند أكثر من واحد من المسلمين بحيث لا يمكن تواطؤهم على الكذب – وحاشا لله أن يكون الصحابة كاذبين - ، أضف إلى هذا أن حفظ الصحابة للقرآن في ذلك الوقت كان سدا منيعا ضد أي مخالفة لما نزل على رسول الله ﷺ من زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل .

وهكذا أصبح القرآن كله مكتوبا في صحائف أحيطت بكل ضمانات الثقة والتثبت ، والصدق والأمانة ، وبعد أن كان كتاب الله مفرقا عند هذا أو ذاك أصبح كتابا واحدا في صحف مجموعة عند خليفة رسول الله ، وبذلك لم يمت رسول الله إلا والقرآن كله مكتوب ومرتبة آياته وسوره ، ولم يمت أبو بكر إلا والقرآن كله مجموع كلا واحدا .

أما الصورة الثالثة لجمع القرآن ، فقد قام بها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وكان سبب هذا أن حذيفة بن اليمان ﷺ كان يجاهد في سبيل الله مع المسلمين حين ذهبوا لفتح أذربيجان وأرمينية وإذا به يرى المسلمين مختلفين في قراءتهم للقرآن الكريم – وبعض ذلك فيه شيء من اللحن – وبعضهم يخطئ الآخر في قراءته «ووصل الأمر ببعضهم إلى حد تكفير الآخرين ، ففزع حذيفة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان وناشده أن يدرك المسلمين قبل اختلافهم على كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان ﷺ إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر حيث كانت عندها الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر ، فأرسلت إليه بها ، فدفع بها عثمان إلى أربعة من صحابة رسول الله ﷺ هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ،

وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم بنسخ هذه الصحف ، فإن اختلفوا في شيء مع زيد فليكتبوه بلسان قريش ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم ، وكان في هذا العمل العظيم دفعا لذلك التعارض والاختلاف الذي كان يظهر بين القراء بسبب قراءة واحد منهم بحرف من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن .

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)) .

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال قال على: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملأ منا ، قال ما تقولون في هذه القراءة ؟ فلقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا ، قلنا فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا فنعم ما رأيت)) .

وبهذا العمل الذي قام به عثمان ﷺ تكون الفتنة قد أخمدت وذلك بحسم الخلاف الذي كان دائرا بين المسلمين ، وقد تم بعون الله وتوفيقه إحاطة القرآن بالحصون العلمية والفنية التي تمنع أن يتطرق إلى هذا الكتاب العزيز شيء من الزيادة أو التحريف ، فلقد اختار عثمان لهذا العمل أربعة من حفظة القرآن وقرائه وكان على رأسهم زيد بن ثابت كاتب الوحي ومن سبقت له خبرة في كتابة القرآن وجمعه ، وكانوا مهاجرين وأنصارا .

ولقد صدقت الأمة على ما قام به عثمان ، واستوثقت له بالطاعة لا عن ضغط أو إجبار ولكن عن اقتناع لأنها رأت في هذا العمل غاية الرشد وعظيم الهداية .

وبهذا العرض يتبين للمسلم وغير المسلم أن القرآن الكريم ليس كالكتب السابقة ؛ وذلك لأنه الكتاب الوحيد الذي تحقق له من قواعد الصدق والتوثيق والصلة في السند ما لم يتحقق لكتاب سماوي آخر فهو:

١- قد كتب في عهد الرسول ﷺ ورتبت آياته وسوره ، ولحق رسول الله بالرفيق الأعلى في العام الحادي عشر للهجرة والقرآن الكريم كله مكتوب في السطور محفوظ في الصدور .

٢- وقام أبو بكر الصديق بجمع القرآن في صحف مجتمعة في كل واحد ، ولم يلحق ﷺ بربه في العام الثالث عشر للهجرة إلا والقرآن كله مجموع في دار الخلافة لا نقص فيه ولا زيادة به .

٣- ولم ينته العام الخامس والعشرون للهجرة إلا والقرآن قد كتب بين دفتين بلغة واحدة هي لغة قريش ، وأرسلت منه نسخ إلى عواصم الأمصار الإسلامية كمكة والشام والبصرة والكوفة ومصر والبحرين واليمن والمدينة ... إلخ .

٤- وقد أجمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، قديما وحديثا ، على صحة ما قام به أبو بكر وعثمان ، وتلقوه بالرضا والقبول .

٥- وقد نقل إلينا هذا القرآن منذ عهد الصحابة حتى يومنا هذا بطريق التواتر حفظا وكتابة.

هذا هو سند القرآن الكريم لا يضاهيه ولا يدانيه بل ولا يقارنه سند آخر ، وكان حقا قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٢] .

هذا هو الطريق الذي جاء منه القرآن الكريم الذي نزل وحيا إلهيا على محمد بن عبد الله ﷺ «فما وجدنا في اعترافات صاحبه ، ولا في حياته الخلقية ، ولا في وسائله العلمية ولا في سائر الظروف العامة أو الخاصة التى ظهر فيها القرآن إلا شواهد ناطقة بأن هذا القرآن ليس له على ظهر الأرض أب ننسبه إليه من دون الله» [٣].

---

(١) آل عمران : ٢/ ٣ .
(٢) المائدة / ٥٠ .
(٣) د . محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، جـ ١ ، ص ٦٨ .